**الارسال الثاني :مقياس الفلسفة واليومي/سنة ثالثة فلسفة**

**المحاضرة الثانية :اليومي واشكالية الحياة**

**المحاضرة الثالثة :الانسان وازمة العيش**

**المحاضرة الثانية /اليومي واشكالية الحياة**

" أريد أن أتناول بالبحث إشكالية علاقة الفلسفة الحالية بالواقع المعاش، و مطمحنا في كلّ ذلك هو التأكيد على ضرورة التفكير الملّحة في مجتمعاتنا الحالية تلك التي هيمنت عليها النظريات الإقصائية التي ترتدي تارة ثوب التكنولوجيا مؤكّدة أنّ الفلسفة ما هي إلاّ أضغاث صالونات و تارة أخرى ثوب التديّن لتعلن أنّ الفكر الفلسفي يعادي في كنهه الإيمان"(1)   
 بهذه العبارة استهل فتحي التريكي كتابه فلسفة الحياة اليومي ليحرك فينا ،باعتبارنا مشتغلين بالفلسفة الهاجس الجاد الذي تعيشه الفلسفة والفلاسفة المعاصرين على حد سواء،والذي رأيناه في المحاضرة السابقة ،وهو تجسير الهوة بين الفلسفة وتاملاتها ورؤاها من جهة والواقع اليومي وهمومه التي يعيشها ويعاني منها الانسان المعاصرمن جهة اخرى.في محاولة لاخراج الفلسفة من مأزقها ذاك والذي وصلت فيه إلى طريق مسدودبسبب ما يُنسب إليها من نظريات و مناهج و مقولات تتعالى فيها على ما هو يوميّ و متغيّر و آنيّ و جزئيّ لصالح ما هو كوني و شمولي و أنساق ثابتة، حتّى غدت منطوية على نفسها تعيد طرح مواضيعها و تعيد كذلك فرز توجّهاتها، بينما الواقع اليوميّ بهمومه و قضاياه يتنفّس هواء مختلفا و يطرح تحديّات على الفكر ليس بوسع الفلسفة و مناهجها التي تولّدت في القرن التاسع عشر أن تجيب عن مثل هذه القضايا و التحديات.(2

كل هذا جعل الفلسفة برؤاها وتاملاتها في نظر الانسان (اليومي)غير ذات أولوية ،إذ لا يمكن لهذه الثمار أو لهذه البذور التي تطرحها الفلسفة أن تنبت في معدة خاوية أو قلب مثقل بالهموم التي يفرضها عليه الواقع اليومي بثقله وهي لاتستثني حتى المشتغل بالفلسفة لأنه انسان تعنيه وتمسه تلك المشاكل كما تمس أي إنسان.

ومن هنا وجب على الفلسفة ان تبذل جهدا نوعيا لتحطم تلك الابراج التي بناها حولها الفلاسفة لكي تصير الملاحة حرة بينها وبين واقع الانسان المهموم.

1)فتحي التريكي فلسفة الحياةاليومية.الدارالمتوسطيةللنشرتونس .ط1سنة2009 .ص6

2)"الفلسفة باعتبارها تفكيرا في اليومي .طريق النجاح موقع الكتروني tareekelnajeh.blogspot.com

ولعل الامر يزداد صعوبة بالنسبة إلى الفلسفة عندما نعرف أن الانسان المهموم بيومه لم يبق مكتوف الايدي أمام مشاكله بل بدأ يهرع يمينا وشمالا بحثا عن الحلول ، ليجد أمامه بعض الفعاليات الاخرى التي عرضت عليه بعض الحلول :فقد حاول العلم ان يحل للانسان مشاكله في حياته الدنيا او بعبارة أصح فيما يبدو لنا، أن الانسان حاول ان يحل مشاكله الدنيوية فهرع الى العلم،، الذي برع في ابداع حلول لمشاكل الانسان لانملك ان نقول عنها إلا أ نها رائعة :مشكلة التنقل ،مشكلة التواصل ،مشكلة التداوي ،مشكلة الغذاء،مشكلة الملل والرتابة ،مشكلة التسلية ،بل إن انبهار الانسان بالعلم حمله على ترشيحه لحل مشاكل لم تكن من صميم اهتمامات العلم ولا هي الارضية التي ينشط فيها كمشكلة الجريمة\*.كما هرع الى الدين ليحل به مشاكله ذات الصلة بما وراء العالم المحسوس نعني بها تلك التساؤلات الحائرة ورثت الانسان حالة من القلق وعدم الطمأنينة .وتصير المشكلة جادة جدا بالنسبة الى الفلسفة عندما نضعها أمامنا على هذا النحو :إن مشاكل الدنيا (العالم المحسوس ) تكفل بها العلم ،اما مشاكل الآخرة أو مشاكل الغيبيات فقد رشح لحلها الدين،مما يطرح السؤال الجاد الذي يجب ان يجاب عنه :ما ذا بقي للفلسفة ان تبحث وأي نوع من المشاكل يمكن أن ترشح الفلسفة لحلها .

رأينا فيما سبق أن الجدار السميك الذيكان بين الفلسفة والواقع اليومي كان يجب أن يخرق لتصير الملاحة حرة بينهما،كل ذلك لصالح الانسان المثقل بهموم يومية وحاجات متنوعة تتجدد باستمرار وقضايا كثيرة أفرزها واقعه اليومي كان يجب التصدي لها.لم يعد بد من رصد كل الفعاليات المتاحة للانسان لمواجهة هذه المشاكل التي هي هواجس جادة لايمكنها تجاهلها بحال من الاحوال .

وتلك كانت ولاتزال فرصة ثمينة على الفلسفة أن تهتبلها لتخرج من حالة العزلة تلك،مما يودنا الىسؤال يبدو مفتاحيا هو كيف يمكن للفلسفة أن تخرج من قوقعتها تلك ،وان تكون فاعلة في واقع الحياة اليومية.وأن تنحاز لهذا الانسان المثقل بالهموم ،في يومه .ويتاكد

\*)ومن ذلك تلك النظرية المعروفة في علم الجريمة وهي النظرية الحتمية او نظرية الجبر ومن روادها لومبروزو وفيري وفرويد .وهي نظرية تتعامل مع الجريمة باعتبارها ظاهرة كسائر الظواهر فلها اسبابها(بيولوجية –نفسية – اجتماعية ) - ومن ثم فلكي نسيطر عليها يجب ان نسيطر على اسبابها.وهذه هي الطريقة العلمية في التعامل مع الظواهر .

الامر عندما نعلم أن المشتغل بالفلسفة هوجزء من ماصدق انسان فهذه المشاكل هي مشاكله كانسان قبل ان يكون مشتغلا بالفلسفة،كل ما في الامر انه يطمح إلى ان يكون جزء من الحل ولايرضى أن يكون جزءا من المشكل .وغني عن البيان ان الفلسفة إنما تنزل إلى ارض واقع الانسان اليومي الزاخر بالمشاكل،مع المحافظة على روحها وتميزها وإلا صارت جزءا من الواقع المتردي ،إنها تريد ان ترتفع بمستوى الواقع الانساني عبر تعاطي مشاكله لاأن تنزل الى الواقع الفج الذي يضج باهله وتزكيه وتبرره .نحن نتكلم هنا عن روح الفلسفة التي جوهرها تأمل عميق يتجاوز النظرة السطحية،وفحص دقيق يتجاوز النظرة العابرة ،ومنهجية في التعاطي المعرفي يتجاوز عفوية العامة وروح نقدية لاتحابي أي فكرة أيا كان مصدرها بل تتناولها بالنقدوإعادة النظر فيه.............كل هذا مع الاحتفاظ بروحها المميزة ،وألا يخرجها تسطيح وغمار الناس وسذاجة العامة وابتذال البسطاء.واختراق يقابل الاجترار .

ويبدو ان هذا هو لب المشكلة في ثنائيتنا الفلسفة ---اليومي ،ويبدو ان الامر ليس باليسير وان على الفلسفة أن تبذل جهدا نوعيا مميزا ،لتجاوز هذا المأزق.وعلى الفلاسفة اليوم ،لاعطاء التفكير الفلسفي طريقة للتعاطي جديدة ومواضيع متنوعة وغايات مختلفة ،بعيدا عن تلك المباحث الاكاديمية مبتوتة الصلة بالواقع اليومي. وذلك مايعطي للفلسفة دفعة قوية تجعلها تضع قدميها على ارض الواقع بدل ذاك التحليق الذي رأيناه في وجه من وجوهه يسيء إلى سمعة الفلسفة ، وتصرف الناس عنها ،.فهاهي ذي إذن تطمح إلى صياغة وإعادة بناء الانسان ومن ثم واقع الانسان.وقبل ذلك فكر الانسان.

إن رتابة اليومي تجعله يتيح موقفا تصنعه العادة والالف،وحتى لو يحدث من حين لآخرحادث ما يهز المألوف ويخترقه ويكسر العادة ويثير الناس ،إلا انه سرعان ما ينسى ليألفه الناس وتبتلعه رتابة الحياة اليومية وتلقي عليه بظلالها وتلونه بلونها.إن اليومي كما يقول مارتن هايدجر يرتقي من تجربة مكررة مبتذلة إلى نمط من انماط الوجود الانساني.

ان الواقع اليومي المكرور يمارس ثقلا وضغطا على الانسان ،يكبله بحيث تستحيل معه الحياة كلها ارتابة قاتلة ،ويفقد ه كل وعي او محاولة كسر هذه الالية ،فيتخذ الانسان موقفا دوغماطيا ،بما يحيط به ،مؤثرا السلامة على المغامرة ،والدخول تحت الوصاية على الرشد وتحمل المسؤوليةعن المواقف التي قد يتخذها.

ولعل الفلسفة هنا تستطيع ان تفعل الكثير باليومي والانسان ابن هذا اليومي.إنها تحاول تحرير عقله من وصاية اليومي المستبد.وإخراجه من حالة الاطمئنان الخادع إلى ما يحيط به .وحتى لو لم يكتب للفلسفة أن توفق في اعطائنا اجابات يقينية مطمئنة عن تساؤلات كثيرة وهو امر وارد نقره ،فيكفيها انها حركت الراكد من واقعنا .و كما يقول برتراند رسل إنها قادرة على ان توحي بالكثير من صور الامكان التي توسع آفاق فكرنا ،فهي إن انقصت شعورنا باليقين بالاشياء كما هي زادت في معرفتنا بالاشياء كما قد تكون ،وفي ذلك توسيع لآفاق التفكير وتحرير للعقل من أي وصاية بما في ذلك وصاية اليومي المألوف كما رأينا.

يبدو ان الفلسفة خطت خطوات عملاقة في هذا الاتجاه بعد أن تأكدت من أن التحليق فيي سماء اليوتوبيا والمثاليات قد أوصلها إلى طريق مسدود.فبدأت في الاتجاه والنزوع الى المشاكل اليومية للانسان وتحول اهتمامها الى القضايا اليومية الواقعية ،فصارت تلك القضايا شغلا شاغلا وهاجسا جادا بالنسبة إلى الفلسفة والفلاسفة ،وحتى بالنسبة الى اولئك الذين لايزالون يخوضون في عالم التنظير الاكاديمي في قضايا هي اقرب الى الترف الفكري منها إلى المعاناة اليومية للانسان ،حتى بالنسبة إلى هؤلاء أو إلى الكثير منهم اقتطعوا جزءا من وقتهم وجهدهم وتفكيرهم واهتمامهم لقضايا اليومي (ومنها العدالة .التنمية المستدامة .حقوق الانسان.الديمقراطية .الحرية .البطالة .التمييز العنصري.العلاقات الاجتماعية .الفن .الاخلاق.العولمة .الحروب والصراعات في العالم .السلم.المواطنة .البيواتيقا ............)ونحن هنا نتكلم عن كوكبة من الفلاسفة الذين ذهبو في هاذا الاتجاه ونحوا هذا المنحى :كانط .برتراند رسل . هيجل.نعوم تشومسكي.هوسرل .هايدجر ميشال فوكو ............ وغيرهم كثير.

وثمة امر آخر له دلالته وهو أن القضايا التي ذكرناها وما يشبهها آنفا صارت مجالا خصبا للبحث،وعناوين توسم بها رسائل التخرج (أطروحات ومذكرات ).وهي كما يبدو مواضيع حية أو على الاقل مواضيع يسهل نفخ الروح فيها فتصير حية تستقطب اهتما م من يشتغل بالفلسفة وغيره لانه تمس صميم واقع الانسان وحياته اليومية.

**المحاضرة الثالثة:الانسان وازمة العيش:**

اذا افترضنا ان ذاك البرج العاجي الذي كانت تقبع فيه الفلسفة وتطل فيه من علو شاهق على واقع الانسان،-هذا إن التفتت اصلا إلى واقعه- ،إذا افترضنا أن هذا البرج قد دمر وان الفلسفة وجدت طريقها إلى واقع الانسان المعيشي أو على الاقل بدأ التياريمر بين الفلسفة والواقع اليومي الانساني،فانه يجب أن تبقى الفلسفة تحتفظ ببعض روحها وخصائصها المميزة في التعاطي مع هذا الواقع،فلا تنزل إلى الواقع الفج بحيث تفقد روحها وتميزها تلك بان تزكيه وتتلون بلونه وإلا فقدت استحقاق ان تسمى فلسفة، وصارت اي شيء آخر إلا أن تصير فلسفة وبالتالي فذاك السؤال الهاجس يصير غير ذي معنى وهوسؤال العلاقة بين الفلسفة واليومي كما اثرناه في محاضرة سابقة.والذي لايزال يتردد بين الفينة والاخرى .ويلقي بضلاله على مقياسنا هذا .ومن جهة ثانية فان الواقع اليومي المعاش ليس مطلوبا منه أن يرقى إلى سماء التنظير فذاك مطلب طوباوي ،إن تحقق وأظنه لايتحقق،يفقد اليومي صفة الواقعية،فنكون بهذا قد اجتثثناه من جذوره وهو امر متعذر.إننا هنا بكل واقعية نريد لكل منهما (الفلسفة واليومي) أن يتقدم كل منهما تجاه الآخر فنعقد صلحا وتقاربا بين مثالية الفلسفة وواقعية اليومي ويتحقق لنا ذاك الوسط الذهبي الذي يمكن ان نسميه مثالية واقعية :مثال يبحث في ما يجب ان يوجد ليلون لنا واقعا موجودا رجاء اصلاحه والارتقاء به . وتلك كانت هاجسا جادا اقض مضجع كل من حاول الاصلاح في تاريخ البشرية أيا كانت مشاربه او ملته أو اتجاهه. فاذا تحقق لنا هذا او بعض منه ،أمكننا أن طرح السؤال الفلسفي المفتاحي فيما نقدر وهو : **على أي نحو ينبغي أن نعيش؟**

وهذا سؤال معياري وقرينة ذلك لفظ ينبغي وذاك هو حظ الفلسفة من السؤال .أما اليومي فالقرينة الدالة عليه ولا أصرح من ذلك هو الفعل نعيش.

والفعل "ينبغي "،يحيلنا إلى حكم وجوب أو حكم معياري هو من صميم الاخلاق أو الايتيقا،وهو قسم مهم في الفلسفة ،إذا وضعنا في الاعتبار التقسيم التقليدي للفلسفة (الاكسيولوجيا- الابستمولوجيا –الانطولوجيا).وواضح ان سؤالنا يدرج في قسم الاكسيولوجيا أو مباحث القيم (الخير - الحق - الجمال).

ولما كان الانسان كائنا اخلاقيا ،ففيه قابلية لتمثل التكليف الاخلاقي ولامتثال الامر الاخلاقي.فهو هنا سيلون عيشته بهذا التلوين الاخلاقي بأ ن يرتقي بواقعه الفج الى سماء وآفاق تصنعها الاخلاق كما كنا ننتظر منها دائما،او على الاقل تجعله يقيم سلوكاته المعيشية فيدرجها في خانة الخير او خانة الشر ،الفضائل أو الرذائل،مايجب فعله وما يجب تركه.فان لم يستطع ان يرتقي إلى حيث يجب أن يكون فعلى الاقل تتميز في وجدانه اطراف هذه الثنائيات ويكون بذلك قد ارتقى إلى مدارج الاخلاق التي هي قسم من اقسام الفلسفة ،وهذه ثغرة قمين بالفلسفة أن تهتبلها كفرصة لتنفذ أو لتنزل إلى واقع الانسان فتغيره نحو الافضل.

وممايمكن ان نتخذه كمثال على هذا ،الاخلاقية الرواقية :إذ يذهب الرواقيون وعلى رأسهم زينون Zénon(335-264م)وتلميذه كريسيبوس Crecipos (280-204ق م)،إلى الاعتقاد بأن الغرض من الحياة هو تحقيق سعادة الفرد. ومفهوم السعادة لديهم لا يتمثل في اشباع الرغبات المطلقة كما يذهب غيرهم ،وإنما السعادة كما اشتهر عنهم، تتمثل في كبت الانفعالات العاطفية وإخضاع الرغبات لحكم العقل والانسجام مع القانون الطبيعي او الإلهي (1).ومن تعاليمهم وحدة الجنس البشري والمساواة بين البشر، لا بحكم مواطنتهم في الدولة كما قرر ارسطـــو، بل طبقا للقانـون الطبيعي والعدالة في الدولة والمساواة بين الرجال والنساء واحترام حقوق الزوجات والاطفال وعمل الخير، و طهارة السريرة والتسامح والاحسان إلى الآخرين والشعور بالإنسانية في كل الأحوال "(2) . يطرح الرواقيون تصورا للكون قوامه أن له مدبرا، وأن على الإنسان أن يوحد بين أرادته والإرادة الإلهية .لقد وحدت الرواقية بين قانون البشر وقانون الآلهة في إطار مواطنة عالمية مظلتها عقل كلي (LOGOS) منزه عن الخطأ ، وهو فوق الجميع حكاما ومحكـومين، لأنه قانون الله الذي يفرق بين الحق والباطل، بين الخير والشر. والناس إذن سواسية أمام القانون لأنهم مواطنون عالميون لا تفرقهم الحدود الجغرافية ولا القوانين المحلية(3)**.**

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1)ول ديورانت: **قصة الحضارة.** ترجمة محمد بدران الطبعة الثالثة ،1965 ,الجزء الثاني من المجلد الأول ص42

2) مصطفى النشار : مصطفى النشار :.**تطور الفلسفة السياسية من صولون إلى ابن خلدون** ,الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع –القاهرة طبعة سنة2005. ص104—105)

3)جورج سباين :**تطور الفكر السياسي** ،الجزء الثاني ترجمة حسن جلال العروسي , ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة . ب ط .ب ت ،ص33

ولا تميزهم أوضاعهم الاجتماعية ولا أعراقهم ولا انتماءاتهم المحلية الضيقة وهم يحوزون صفة المواطنة ويخضعون لقانون المدينة العالمية دون استثناء.

مما تشترطه الرواقية في المواطن الصالح شروطا أهمها: المساهمة في إدارة شؤون الدولة حتى لا تجنح إلى الظلم، بذل الجهد لأداء واجب الخدمة الاجتماعية لوطنه الكبير الذي هو العالم الانساني ،ذلك أن المواطن الصالح هو مواطن عالمي وطنه هو العالم كله على سعته، حيث يجد القيم والفضائل العالمية التي افتقدها في دولته النزاعة إلى الظلم(1) . قارن بين هذه الذي ترمقه الفلسفة و هذا الواقع المعيش الذي تصوره لنا هذه الفقرة .

"لا نعيش في مدننا اليوم بكيفية تعكس تشبعنا بقيم فن العيش، أي بانتهاج سلوك مدني موسوم بمبادئ المواطنة، بقدر ما نعيش بكيفية عشوائية، فالفضاء العام للمدينة محكوم بذهنية الأعرابي (صانع العالم العربي: الجابري)، ونحن باعتبارنا ذواتًا بشرية لا نتصرف بحس مواطني، بقدر ما نتصرف بحس بدوي، لا يعير بالاً لقوانين المدينة، كقوانين السير ونظام المرور سواء من قبل السائقين أو الراجلين. أغلب فضاءات المدينة باتت خاضعة للترييف، فلم تعد سلطة المدينة قادرة بتاتًا على فرض احترام القانون، وخصوصًا بعد اندلاع انتفاضات الربيع العربي، والتي للأسف الشديد لم تتأسس على فكر تحرري ثوري يحمل تصورات عميقة لمشروع مجتمعي حداثي هدفه الانخراط في الفضاء الحر للإنسانية، بقدر ما تأسست على أحداث تلقائية من غير مشروع فكري، غير أنّ الشباب المتحرر هو من أعطاها دفقها الحيوي من خلال احتجاجات منظمة تمت بواسطة أدوات التواصل الاجتماعي (الفايسبوك والتويتر). ولعل المستفيد الأكبر للنتائج المترتبة على هذه الانتفاضات ليس سوى هذه النزعة الترييفية التي حولت مدننا إلى فضاء لا مدني، وهي نزعة تحمل معها ثقافة معادية للحداثة وحرية الإبداع ......."(2)

ولنا أن تساءل هل ممن الممكن احداث التقارب وتجسير الهوة بين ما يجب أن يكون على نحو مااملت الرواقية ونظرت كنموذج لفكر فلسفي أخلاقي من جهة وبين واقع يومي

1)عبد الرضا حسين الطعان وآخرون :**موسوعة الفكر السياسي عبر العصور**، دار ابن النديم للنشر والتوزيع الجزائر ،الطبعة الأولى سنة 2015 ص 280ــ281

2)عبد العزيز المسهولي.الفلسفة وسؤال العيش. مقال في موقع الكتروني. https://www.mominoun.com/articles

نعيشه .ويتكرر في كل مجتمعاتنا العربية أو جلها ؟وهو سؤال موجه الى الانسان ابتداء ثم الى الفيلسوف الذي اخذ على عاتقه مهمة التغيير والاصلاح ليصير هذا محكا للفلسفة ان كانت فعلا تستطيع أن تحدث التغييرالمنشود.وأن ترتقي بالواقع الى حيث يجب أن يكون ؟؟؟؟